بطالة الشباب المثقف

في الخارج — أسبابها وعلاجها

للدكتور احمد سويلم العمري
عضو المكتب الفني لمعالي وزير المالية

الاسباب

تعدّت البطالة الصناعة والعمال الى الشباب المثقف اذ ان مقدار كسبه يعلو وينخفض تبعاً لارتفاع او هبوط بارومتر الانتاج بما في ذلك الانتاج الصناعي . وتئن حالاً غالبية الامم المتمدينة لاسيما كبريات الامم الصناعية من ازمة الشبان المتعلمين المتعطلين وتحاول عبثاً توجيه قوى هؤلاء الشبان المتدفقة على غير هدى الى نواحيها المنتجة وقد اضحت كالشلالات المتحدرة بين الادغال والحراج لا يمكن تسخيرها وتوليد الكهرباء من تدفقها

تخرج الجامعات في مختلف انحاء العالم سنويًّا عشرات الآلاف من حملة اجازات العلم المختصين في مختلف فروع المعارف والفنون من اطباء ومحامين ومهندسين وكيميائيين وصيادلة ومزارعين وفنانين ومدرسين وصحافيين وادباء وممن اتقنوا اعمال البنوك والشركات وبرعوا في الحساب والمحاسبة وممن درسوا الفنون التطبيقية واساليب الصناعة والتمدين وغيرهم . وسرعان ما ينشدون من هذه الاجازات المال ويريدون ان ينسجوا منها حلل المجد كأنها صك عقار او مفتاح خزانة حافلة بكنوز العلم في حاجة الى اكتشاف دخائلها والترفيه عن الانسانية من هذا السبيل ، ولهم عذرهم في ذلك فحياتنا الحديثة صعبة المراس لا تنفذ الى وعدها الا عن طريق المال

اصبحنا اليوم عند مفترق الطرق حيث استوفى العالم المتمدين قسطاً كبيراً من التشييد الحديث والآلات الضخمة المصانع والقاطرات والطائرات والبواخر واسلاك البرق ومنشآت المواصلات والموانئ وكل ما كان يفتقر اليه قبل الانقلاب الصناعي وتسخير البخار والكهرباء وغيرها من القوى الطبيعية . بدأ التطور الصناعي الحديث خطواته الاولى منذ اكثر من قرن واجتاز الصعاب الشداد وهو الآن بواصل هذه الخطوات في سبيل عقباها اقل فلا تعمير لعالم المدنية ولا غرس وانشاء من جديد اذ لا نزاع في عهد البخار والكهرباء ندخل على معدات الانتاج التجديد والتعديل دون ان نهدم صروحها هدماً ونعيد تشييد صروح البناء . لذلك تعذر اسناد الاعمال الى آلاف

المتقفين المختصين الذين يتخرجون كل سنة من الجامعات . وزاد البطالة تفاقماً ما اصاب الميدان الصناعي بعد الحرب التي ايدت سيطرة الآلات ايما تأييد، مما افسح المجال للعمال موقتاً بينما تقضي على كثير من الفنون وترك ارباها على الطوى كالممثلين والموسيقيين والمغنين والخطارين والرسامين للاستغناء عنهم باستعمال الراديو والفونوغراف والبيانو الكهربائي والسينما والفوتوغرافيا والمطابع وغيرها

كذلك لفحت الازمة الاقتصادية العالم بنيرانها الحامية واودت بكثير من الصناعات وشلت حركة التجارة الدولية فاوصدت كثير من المصانع والمتاجر ابوابها واستغنت عن عمالها كما استغنت عن كثير من اخصائيها المتقفين . ولم يدرك العمال من جهتهم وقد تذوقوا مرارة حياتهم الشاقة وما يحوطها من متاعب البطالة خطورة الموقف فوجهوا ابناءهم الى المدرسة وزجوا بهم نحو الدراسة الفنية والتخصص بل ونحو الدراسة العالية والجامعات وقد ساعدهم على ذلك انتشار المدارس واضطراد رقي التعليم وانهُ اصبح باعتدال نفقاته في متناول مختلف الطبقات . فتكبد العمال اشد التضحيات في سبيل تعليم ابنائهم بينما زادت عقبات المهن الحرة والاعمال الجديرة بمعارف المتقفين

وجاء نقص ايرادات الحكومات الناشيء عن الازمة الاقتصادية وزيادة ديونها العامة واقبالها على التسليح ضغثاً على ابالة فقلَّ توظيف الشبان المتقفين الجدد بل ان هناك حكومات اضطرت الى الاستغناء عن كثير من الموظفين وايقاف اشغال الوظائف الشاغرة

ثم ان نقص ما تدرُّه الزوات على اصحابها بسبب ثقل الضرائب والديون الزراعية والصناعية وانحطاط الاسعار اجبر الافراد على الاقلال من استهلاكهم فظهرت مضاعفات الداء وتزايد عدد العمال المتعطلين وتبع ذلك زيادة الشبان المتقفين المتعطلين . كما نزل الى ميدان العمل ثانية الذين انقطعوا عن ميدانها من الرجال المتقفين بعد ان جمعوا ما يكفيهم من المال وذلك لضياع اموالهم المدخرة بفعل الازمة فازدحم الميدان ازدحاماً لا مثيل لهُ من قبل

كذلك لوحظ اشتداد نشاط المدارس والجامعات واخراجها سنوياً عدداً من الشبان المتقفين يزيدون عن حاجة البلدان المتمدينة زيادةً اكبر كثيراً من نسبة زيادة عدد السكان. تغير العالم بعد الحرب فأصبحت المدرسة تنتج كالمصنع والطالب الذي اتمَّ دراسته يريد بدوره ايضاً ان ينتج كالمصنع . حياة ميكانيكية مضنية وجهود آلية لا تتفق والعقل والمشاعر والوجدان وقد ندد بتلك الحالة احد كبار وزراء فرنسا السابقين البارزين في ميدان الاقتصاد هناك اذ قال هذا الباحث المحقق وهو المسيو كايو : صارت المدرسة بعد الحرب كالمصنع مسرحاً لزيادة الانتاج زيادة على جانب كبير من الخطورة لانها لا تنصبُّ على الآلات والبضاعة بل تنصب على الجنس البشري واصبح لا يرجع بتاتاً في اختيار طلبة المدارس الثانوية والعالية الى كفاءتهم واستعدادهم فاكتظَّ كل فصل بعدد كبير منهم يفوق طاقة المدرس وقد يصل الى نحو الخمسين او قد يصل الى

انسين او انسين . وتضاف الى ذلك السهولة المتناهية التي يراعى في اختبار الطلبة وفي حصولهم على الاجازات العلمية والشهادات . ثم قال ايضاً يجب وضع حد لزيادة انتاج المدرسة في احصائها بشأن المتخرجين الذين يجولون في الطرقات والدور . بعضهم اياه انهال ذوي الآراء الاشتراكية المتطرفة والبعض الآخر يتحدرون من اصل رفيع يتعذر عليهم قبول حقائق الحياة المرة فهم يثورون في وجه النظم لا تفه الاسباب . ولا يرجع اصل الداء الى سوء نظام التعليم فحسب بل ايضاً الى عقلية الشبان وشدة طموحهم الانتجي . ويجب العمل على استئصال ما يأخذ على الشبان عقولهم من ان العلم والثقافة ينتجان حتماً الثروة والنفوذ

ولا ادل على تزايد عدد الطلبة في مختلف الامم المتمدينة مما ادى الى تعقد مشكلة بطالة الشباب المثقف من الاحصاءات والبيانات التي وردت في تقرير لجنة مكافحة بطالة الشبان المثقفين المتطلين التابعة لمكتب العمل الدولي بجنيف . وهذه أهم الاحصاءات والبيانات : —

١ — احصاءات عن زيادة عدد طلبة المدارس العالية والجامعات

الدولة	سنة ١٩١٣	سنة ١٩٣٢	الدولة	سنة ١٩١٣	سنة ١٩٣٢
بلغاريا	١٨٢٢	٨٧٠٩	الدانيمارك	٤٨٠٨	٨٥٧٥
اليونان	٣٣٤٥	٨٤٠٩	فرنسا	٤١٠٤٤	٧٣٠٨٨
هولاندا	٥٥٠٠	١٢٧٢٥	السويد	٦٣٦٣	١١٣٠٢
النروج	٢١٦٩	٤٨٣٠	ايطاليا	٢٨٠٢٦	٤٧٧٢٣
النمسا	٤٥٧٦	٩٤٨٣	المانيا	٧٧١٤٣	١٢٩٦٠٦
اسبانيا	١٩٨٥٨	٣٥٩٩٢	الهند	٣٠٠٠٠	٨١٠٠٠

٢ — احصاءات عن عدد المحال الشاغرة وعدد المتخرجين الجدد : —

الدولة	المتخرجون الجدد ١٩١٣	المحال الشاغرة ١٩٣٢
	مهنة الطب	
المانيا	١٧٠٠	١١٠٠
النمسا	٣٥٠	١٥٠
فرنسا	١٠٠٠	٥٠٠
سويسرا	١٥٠	٨٠
يوغوسلافيا	٣٥٠	٢٠٠

الدولة	المتخرجون الجدد ١٩١٣	المحال الشاغرة ١٩٣٢
	مهنة طب الاسنان	
المانيا	٧٠٠	٤٠٠
	مهنة الصيدلة	
الارجنتين	١٥٠	١٠٠
	مهنة التمريض	
الولايات المتحدة	٢٥٠٠٠	٦٠٠٠
اليونان	٤٥	المحال الشاغرة قليلة جداً
النمسا	٣٢٨	٣٠٠

٣ — بيانات عن نسبة المثقفين المتعطلين المختصين بالصحافة

هولندا ١٥ ٪ المانيا ١٠ ٪ تشيكوسلوفاكيا ٥ ٪

العلاج

لجأت الحكومات التي تئن من مطالبة الشباب المثقف الى نوعين من العلاج المباشر تكافح بهما هذه البطالة مكافحة وقتية اكثر منها دائمة حتى تتحسن الحالة الاقتصادية ويدب دبيب الانتعاش في العالم فتختفي هذه الازمة شيئاً فشيئاً. وهذان العلاجان هما علاج يتناول اقامة السياج المنيع للحيلولة دون ازدياد عدد الشبان المثقفين المتعطلين في المستقبل ثم علاج يشتمل على السعي بكافة الوسائل لايجاد الاعمال لهؤلاء الشبان مع تنظيم هذا السعي، وسنشرح كلاً منها فيما يأتي

(العلاج الاول) يرمي هذا العلاج الى انقاص عدد الذين ينتظمون في سلك المهن الحرة والاعمال التي تتطلب العقل والتفكير اكثر منها الذراعين والقوى البدنية كما هي الحال في الصناعة وذلك : —

١ — بتضييق النطاق على منح الدبلومات وبالتشدد في الامتحانات والاقلال من الملاحق وحرمان الذين يرسبون عدداً معيناً من المرات من مواصلة الدراسة ومد اجل التمرين العلمي قبل إعطاء التصريح باحتراف المهنة وقد اتبعت فرنسا ذلك بتشديدها في امتحانات الطب وادخالها النظام التحريري الاجباري في السنتين الاولى والثانية من جامعات الطب منذ سنة ١٩٣٣. واتبعت ذلك ايضاً الولايات المتحدة وكمبردج واستراليا مع زيادة اجل التمرين فيما يختص بالصيدلة ويميل البعض على هذا النظام انه تعسفي ويفضلون عليه السعي في ايجاد وظائف للشبان المتعطلين الذين تضطرد زيادتهم

٢ — بتحديد عدد من ينتظم في المدارس العالية والجامعات من الطلبة الجدد حتى لا يزل الى ميدان الحياة العلمية من الشبان الا بقدر الحاجة اليهم مما يحافظ على كرامتهم وكرامة مهنهم وقد استصوبت السويد ذلك فيما يختص بدراسة الطب كما ان وزارة المعارف ببريطانيا العظمى تراعي هذه القاعدة فيما يختص بتخريج العدد اللازم من المدرسين لمعاهدها المختلفة. كذلك اليونان فقد اباحت بمقتضى قانون صادر في ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣ تحديد عدد الطلبة الممكن قبولهم في الجامعات سنوياً واتبع ذلك فعلاً فيما يختص بدراسة الطب

٣ — بتنظيم احتراف بعض المهن التي اذا تطلبت نوعاً معيناً من الثقافة فالدبلومات غالباً ما تمنحها. مثال ذلك الصحافة والتمثيل. وذلك بتنظيم هيئات اتحادية تضم ارباب المهنة وتشترط في الانضمام اليها شروطاً معينة. وباعطاء اجازات تخول لحاملها الاحتراف بالمهنة وباشتراط التمرين مدة معينة قبل مزاولة المهنة. وكذلك بانشاء مدارس خاصة للتمثيل والصحافة وقد عمدت

بلجيكا الى انشاء مدرسة للصحافة كما انشأت المانيا مدارس للتمثيل . واشترط اتحاد الممثلين في سويسرا على من يريد ان يشتغل بالتمثيل ان يقوم سنتين بتمرين منتظم في حلبة هذا الفن . وأنشأت ايطاليا سجلاً خاصاً للصحافة لا يمكن مزاولة هذه المهنة الا لمن قيد اسمه فيه والقيد فيه محدود بقدر الحاجة الى هذه المهنة

٤ — بحماية الالقاب العلمية والدبلومات وذلك باشتراط الحصول على اجازات علمية خاصة لمباشرة بعض المهن الفنية ومحاربة الذين يحترفون هذه المهن بلا مؤهلات لاسيما الصيدلة والطب والمحاماة ومنع الاشتغال بالاعمال الهندسية واعمال المقاولات الا لحملة الشهادات الذين مارسوا التمرين بما فيه الكفاية . وحماية الالقاب العلمية مكفولة اليوم في كافة البلدان المتمدينة

٥ — بتوسيع نطاق التعليم الثانوي وجعله لمن شاء نهاية الثقافة العامة بصبغه بالصبغة الفنية المحضة فيستطيع الشاب بعد اتمامه خوض غمار الحياة العملية في ميدان الصناعة اوميدان الزراعة . وقد أيد النظام الفاشستي في ايطاليا هذا النوع من التعليم وعمم المدارس الثانوية الفنية

﴿ العلاج الثاني ﴾ السعي لايجاد اعمال للشبان المثقفين المتعطلين وتنظيم هذا السعي يكونان بايجاد صلات قوية بين اصحاب المهن والاعمال الشاغرة يترتب عليها شغل هذه المحال اولاً بأول يكونان ايضاً بالمام أصحاب هذه المهن منذ نعومة اظفارهم وهم بالمدرسة بمستقبل المهنة التي سيرتزقون منها وذلك :

١ — بانشاء مكتب دائم يسهر على مصالح الشبان المثقفين عموماً والمتعطلين منهم بنوع خاص ويتلخص اختصاص هذا المكتب في جمع آراء واتجاه جمعيات المهن الحرة وفحصها وتلقي البيانات عن المحال الشاغرة وتوزيع الشبان المثقفين المتعطلين عليها وارشاد اولياء الامور والتلاميذ بالمدارس الابتدائية والثانوية الى اقل المهن ازدحاماً واوفقها حظاً واوفرها ربحاً وما تتطلبه كل مهنة من الاستعداد والكفاءة والذكاء والجهود البدنية والعقلية واذاعة البيانات والاحصاءات الدورية في سبيل تلك الغاية

ولو ان هذا النظام في اعتبار البعض نظري اكثر منه عملي فقد اثبتت على الرغم من ذلك كثير من البلدان المتمدينة فهناك مكتب استعلامات خاص انشيء في وزارة المعارف بهنجاريا لهذا الغرض منذ سنة ١٩٢٧ . كما ان هذا النظام متبع في صور مختلفة في المانيا وفرنسا والنمسا وسويسرا والولايات المتحدة . فهناك مكاتب خاصة للارشاد الى المهن الحرة تابعة للجامعات الالمانية مثل جامعات برلين ومونيخ وكولونيا وقد نجحت نجاحاً كبيراً في اداء مهمتها . وهناك في فرنسا مكاتب خاصة لنفس الغرض بباريس ومختلف المقاطعات الفرنسية

٢ — باهتمام جمعيات المهن الحرة على اختلاف انواعها بمستقبل الاعضاء الجدد التابعين لها والسعي لايجاد اعمال لهم . ولا تألو هذه الجمعيات جهداً في المانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا

وهولاندا والولايات المتحدة ويوغوسلافيا جهداً في سبيل مساعدة الشبان المثقفين المتعطلين للحصول على اعمال يرتزقون منها . وقد قام اتحاد جمعيات الاطباء في فرنسا سنة ١٩٣١ بدعاية واسعة النطاق حيث وزع ما يربي على عشرة آلاف منشور دوري الى المدارس والجامعات والطلبة والمدرسين وأولياء الامور ومختلف جمعيات المهن الحرة ونشرها كذلك في الصحف بين فيها الصعوبات التي تعترض مهنة الطب وينحذر الطلبة من الهافت عليها . كما اذاع ايضاً اتحاد جمعيات المهندسين الفرنسيين عدة نشرات عن حالة المهنة وطرق مزاولتها والصعوبات التي تعترضه

٣ — يبذل الحكومة والجمعيات قصارى جهدها لايجاد اي عمل للشبان المتعلمين المتعطلين باتباع ما يأتي

ا — تحريم شغل عدة مناصب او القيام بعدة اعمال في آن واحد

ب — تحريم اشتغال الموظفين لا سيما اساتذة المدارس بأعمال اضافية علاوة على وظائفهم

ج — تخفيض سن الاحالة على المعاش او التقاعد من اجل الشيخوخة

د — تحريم اسناد اعمال ومناصب للمتقاعدين وارباب المعاشات

هـ — انشاء اعمال غير عادية والتوسع في المشروعات العامة لتشغيل العمال والمتعلمين المتعطلين

و — تخفيض ساعات العمل

ز — تحريم اسناد اعمال او وظائف الى الاجانب والى النساء المتزوجات

ح — ايجاد اعمال ووظائف للشبان المتعلمين المتعطلين في الخارج لا سيما في البلدان التي في مستهل نهوضها وفي المستعمرات

ط — انشاء ما يسمى بمعسكرات العمل تضم تحت لوائها الشبان المتعلمين المتعطلين ويوزعهم على الاعمال وفقاً لنظام خاص وهي غالباً ما تزج بهم في الاعمال الزراعية والصناعية

ي — استخدام الشبان المتعلمين في مختلف الحرف التي لم تعدها دراستهم لادائها وتلقينهم هذه الحرف كلما دعت الحال لاصدادهم من جديد لاعمال تتفق ومقتضيات العصر وحاجة الجيل

ك — تقوية دعائم جمعيات الحرف والمهن حتى تزيد عنايتها بالشبان المثقفين المتعطلين

ل — انشاء صناديق اعانة لمساعدة الشبان المتعلمين المتعطلين وتشجيع الابحاث العلمية التي يقومون بها بالمال والماء مجانية تمرين هؤلاء الشبان توطئة لخوضهم ميدان الحياة العملية وجعلها مقابل اجر معين

وعلى الرغم مما خلفته هذه الحلول على الشباب المثقف من الترفيه عنهم والتخفيف من متاعبهم فهي حلول وقتية اتخذتها مختلف البلدان التي عضتها الازمة الاقتصادية بنابها لعلاج احدى مشكلات هذه الازمة الفرعية وهي بطالة الشباب المثقف . الا ان مما لا شك فيه ان هذه الحلول ليست وحدها كفيلة بانقشاع سحب ازمة البطالة عموماً وازمة بطالة الشباب المثقف بنوع خاص. بل ان بطالة الشباب المثقف لن تزول الا تدريجياً بسير العالم بخطوات ثابتة نحو الانتعاش الاقتصادي